قصة: سحر شحادي
رسوم: سحر روش

العصبة

ببسمةٍ لطيفةٍ كان يعبرُ كلَّ لقاء، يجلسُ على حصيرةِ القشّ المهترئةِ فتفوحُ رائحةَ التواضعِ والزّهد.

"شيخ أبو ذر" لن نشرب الشاي من دونك؛ نادى أحد المجاهدين. كلُّ ليلةٍ ينتظرونه، فحديثه أنسٌ وكلماته تُحفَرُ في قلب كلّ من يسمعها. كان يتأهّبُ حينما يعلمُ أنّ المجاهدين يتحضّرون لعمليّة اقتحامِ موقعٍ ما، ويبيتُ في الثغورِ ليالٍ إضافيّة رافضاً الذهاب في **"مأذونيّته"**. وحينما يحين الموعد، يسابقُهُم ليحجزَ دوراً لنفسِه، حاملاً معه حزمةً من أخواتي العصبات الملوّنة، والتي اقترنَ كلٌّ منها باسم أحدِ الأطهار عليهم السلام.

وأمّا أنا فقد كنتُ رفيقتُه الدائمة. لقد شهدتُ تهجُّدَه في الليل، ومزاحَه ولطفَه مع المجاهدين، وخدمتَه لهم، وبأسَه واطمئنانَه في ساحاتِ الجهاد.

لقد صادقتُه في كل أوقاتِه، فإذا لم يُكرِمْني بشدِّ رأسه، كان يضعنُي في جيبِه، إلى جوارِ قلبه، لأسمعَ نبضاتِ الحبّ التي لا تتوقف.

عرفتُ لاحقا قصّةَ والدِه الذي استشهد على أيدي الصهاينة أثناء اجتياحهم لبنان، حيث ألقوا جثّتَه في البئر. لقد ورِثَ من أبيه حبَّ الجهاد والمقاومة. تلك المقاومةُ التي أثخنت جسدَ العدوِّ قتلا وجراحاً، ففرّ مذعوراً في أيار من العام 2000.

مع بدءِ اندحارِ العدوِّ من أرضِ جبل عامل الطاهرة، عاجلتْهُ المقاومةُ بعملياتٍ متواصلة في كافّة المواقع المحتلة، حتى تلتصقُ صورةُ الاندحارِ الذليلِ بجيشِ الاحتلال. وفي تلك العمليات، كان الشيخُ أبو ذر يحلّقُ بفرحٍ وحبٍّ وإيمان، من موقع إلى آخر، لتصدَحَ في أُذنيه نداءاتِ التكبير مقترنةً بزغرداتِ النَّصر واحتفالاتِ التَّحرير التي كانت تبثُّها قناةُ المنار، ونواحِ الهزيمة للجيشِ الهاربِ الذليل.

وفي تلك الأثناء أكرمه اللّهُ بالشهادةِ مستجيباً

لدعائه في بطن الليل، بعدما رأى بيارقَ النّصرِ بأمِّ عينيه في بلدتِهِ رشاف بعدما دخلَ مشارفَها فاتحاً.

حضرَ علي ابنُ الشيخ أحمد حمد يحيى ليلقي نظرةَ الوداع على والدِه، نظرَ مبتسماً، ثمّ مدّ يدَهُ إلى رأسِ الشيخ **"أبو ذر"** وحلَّ عُقدتي ثمّ ربطَني برأسه.

رافقتُ علي سنواتٍ طويلة، لقد كان صورةً عن والدِه في خَلقِهِ وخُلُقِه؛ كأنّهما شخصٌ واحد. وحينما حان الميعاد، هجرَ عليٌّ بيتَه وأهلَه، وهبَّ للدّفاع عن الخطِّ الايماني المقاوم، شددني برأسه وقاتَلَ التكفيريين الذين استباحوا الأرضَ والكراماتِ في الشّام العزيزة، وفي فجر الثاني والعشرين من أيار من العام 2015، وفي نفسِ اللحظة التي استشهد فيها والدُه قبل خمسةَ عشر عاما، قضى عليٌّ شهيداً ليلتحق بأبيه وجدّه وكلِّ الشهداء الأبرارِ الذين افتدوا الوطن.

لقد مرّت عقودٌ من الشهيد حمد إلى الشهيد الشيخ أحمد إلى الشهيد علي.

كدتُ أكونُ قطعةَ قماشٍ مهترئة لولا أن تقدستُ بلمساتِ المجاهدين ودفءِ تهجُّدِهم، وهأنذا اليومَ في حضنِ شبلٍ صغيرٍ يتهيّأ لصناعة فجرٍ جديد.